

هو العليم

بحث حول: علة زوال حوزة النجف وبيان

أهمية العلم والعمل، والإعراض عن الأهواء الدنيوية والمنافع الشيطانية
والاستقامة في طريق أهل البيت عليهم السلام

سَمَاحَةُ الْعِلْمِ أَمَةٌ لِلرَّحْلِ

آيَةُ اللَّهِ الْحَاجُّ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الْحُسَيْنِيُّ الْحُسَيْنِيُّ الطَّهْرَانِيُّ

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

^ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ% (١)

أي لا رخصة لأيّ فردٍ - في حدّ ذاته وبلحاظ قوّته الخاصّة - إذا
أعطاه الله الكتاب والحكم والنبوّة أن يقول للناس كونوا عباداً لي مقابل
العبوديّة لله. ولكن - بما أنّكم العلماء وحماة الكتاب - عليكم أن تكونوا
ربّانيّين، بمعنى أنّكم منتسبين إلى الربّ دائماً، فكونوا علماء ربّانيين لا

١- سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

علماء ماديين وشهوانيين. ويمكن أن تكون كلمة "ربانيين" مشتقة من مادة "تربية"، بمعنى كونوا من أهل التربية، وربوا الناس وقودوهم إلى المحل الأعلى، وذلك باعتباركم أنكم تدرسون الكتاب، تدرسون القرآن، وباعتبار أن عملكم وبحثكم ودراساتكم تدور حول القرآن، وحول المسائل العقلية والمسائل الإلهية.

بناءً على ذلك، فطريقة من وصل إلى مقام العلم، هو أنه لا يستطيع بأي شكل من الأشكال أن يدعو الناس إلى نفسه، ولا يرى الأوامر والنواهي الصادرة منه أوامر شخصية، ولا يعتبر هؤلاء الناس عبداً له. فيجب أن تكون الأوامر إلهية ولوجه الله، وعلى الإنسان أن لا يشبهه ويصدر الأوامر من تلقاء نفسه، لأن كل ذلك يعود إلى حب الرئاسة ونزعة الشعور بالتفوق والوجاهة، وإنما يلقيها على الناس باسم الله، ويحملهم إياها على أنها هي الدين والشريعة.. ولو فعل الإنسان ذلك الآن، فسوف لن يخرج عن عهدة المسؤولية غداً، لأنه طبقاً للآية السابقة يقول القرآن: إنكم في طريق العلم والكمال، وعلمكم بالكتاب جيد وإطلاعكم عليه كبير، وأنتم حماة، وعلومكم ودراساتكم تدور في هذا الفلك، لذا كان عليكم الوصول إلى حقيقة العلم. وليست حقيقة العلم أن يدعو الإنسان الناس إلى نفسه، ويدعوهم إلى عبادته والسجود له، بمعنى أن يتصور نفسه هو المحور الأساس ويعمل على أن تكون إطاعة الناس له، وبعدها يدعو الناس للعبادة والأخذ عنه، هذا غلط. بل حقيقة العلم هي انكشاف الواقع والحقيقة، وكل من وصل إلى العلم عليه أن يدعو الناس إلى الله، وعليه أن يوجه نفسه وسائر الناس نحو الله، هذا هو العالم الذي يحمل

مصباح الهداية في يده ويتقدّم مسيرة الناس حتّى يكشف لهم الطريق ويسيروا جميعاً نحو الله، لا أن يصبح هذا المصباح الذي يحمله موجباً لضلال الناس وضياعهم، فعندئذٍ سوف يقع الناس في ظلام حالك، باعتبار أنّهم أطاعوا شخصاً يصدر أوامر من تلقاء نفسه.

وقد ورد في كتاب قرب الإسناد - والذي يعتبر من الكتب المهمّة والمعتبرة - رواية عن هارون عن ابن صدقة عن الصادق عن آبائه عليهم السلام: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة فيشفّعهم: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشهداء^(١).

فالرسول يقول في هذه الرواية بأنّ درجة العلماء أدنى من درجة الأنبياء وأعلى من درجة الشهداء، لأنّ الأنبياء يشفعون أولاً، ثمّ العلماء ثمّ الشهداء.

وفي أمالي الشيخ الطوسي رحمة الله عليه، بإسناده عن المجاشعيّ عن الإمام الصادق عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة وُزّن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء^(٢).

والمراد بمداد العلماء، ما يتركه العالم من أثر ليفيد الناس به، فمداد العلماء إذا وزن مع دماء الشهداء يكون أثقل في ميزان يوم القيامة.

^١ - قرب الإسناد، ص: ٦٤.

^٢ - الأمالي، للشيخ الطوسي، ص: ٥٢١.

ويوجد رواية صحيحة أخرى وهي: **مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء**^(١)، ومن جملة طرقها يوجد طريق ينتهي إلى العبد^(٢)، حيث لديه إجازة من الشيخ آغا بزرك الطهراني رحمة الله عليه، الذي يعتبر من مشايخنا المجازين في علوم الدراية. وكذلك لدينا سند متصل إلى رسول الله عبر العلامة الطباطبائي الذي يعتبر أيضاً من مشايخ الإجازة أيضاً. وجميع هذه السلسلة من العدول، ومن المعلوم في اصطلاح أهل العلم، أنّ إطلاق لفظ الرواية الصحيحة يراد به الرواية التي لها سند - بمعنى أن لا تكون مقطوعة أو مرفوعة أو مرسلّة - وأن يكون جميع من في سندها من الإماميين الموثقين والعدول، دون أن يكون بينهم أي راوٍ من الرواة الموصوفين بالحسن أو الضعف أو ما شاكل ذلك.

وروى ابن أبي جمهور الأحسائي في كتاب عوالي اللآلي: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**"^(٣). ويروي أحمد بن محمد البرقي في كتاب المحاسن عن أبيه عن سعدان عن عبد الرحيم بن مسلم عن إسحاق بن عمّار - وهو سند ممتاز - قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من قام من مجلسه تعظيماً لرجل؟ قال: **مكروه، إلا لرجل في الدين**"^(٤).

^١ - أنظر على سبيل المثال: **كشف الخفاء**، للعجلوني، ج: ٢، ص: ٢٠٠، وتذكرة الموضوعات للفتني، ص: ٢٣، وغيرها. إلا أنّ الحديث ورد في بعضها بلفظ (دم) بدلاً من (دماء).

^٢ - أي العلامة الطهراني نفسه رضوان الله عليه. المترجم.

^٣ - **عوالي اللآلي**، ج: ٤، ص: ٧٧.

^٤ - **المحاسن للبرقي**، ج: ١، ص: ٢٣٣.

فالعلماء السابقون إنَّما كانوا يتركون مدنهم وقراهم، ويسافرون إلى الحوزات العلميَّة ويدرسون هناك عملاً بهذه الروايات التي أوردنا بعضها كشاهد على ذلك، وإلاَّ فالمرحوم المجلسي خصَّص الجزء الأوَّل من كتابه "بحار الأنوار" لبيان فضيلة العلم والعلماء والإخلاص في العمل وشروط العلم، والتمييز بين علماء السوء والعلماء الروحانيين والإلهيين، وأورد هناك مئات الروايات. ويوجد أفراد هنا وهناك قد سمعوا بهذه الروايات ضمن وصيَّة آبائهم لهم، أو نصيحة أمهاتهم، وانتقلوا بعدها إلى الحوزات للدراسة بغية التقرب إلى الله تعالى، وقد وصلوا إلى المقام العالي الذي ينبغي الوصول إليه. طبعاً، لا بدَّ من العمل على طبق الشروط التي تقدِّم ذكرها، بأن لا تعود لهم شخصيَّتهم التي كانت لديهم، ولا ترجع إليهم نفوسهم وأنايَّتهم، ولا يتوجَّهون إلى حطام الدنيا، ولا يُسيئون الاستفادة من العلوم التي تعلَّموها أو الموقعيَّة التي اكتسبوها، ولا ينصبون شباكهم لاصطياد الناس، ولا العمل لغير الله.. وفي النهاية، يصيروا هم أنفسهم طعمة للشيطان. فهذه شروط لا بدَّ منها.

لقد كان في السابق علماء جيِّدون جداً، ولم يكن هؤلاء وأمثالهم قليلين بل كانوا كثيرين، فقد كان في كلِّ زمن واحد منهم، من قبيل الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والبرقي الذي مرَّ ذكره (أحمد بن محمد بن خالد البرقي) الذي كان مقدِّماً حتَّى على الكليني وكان في سند الرواة الذي اعتمده الكليني، ومن قبيل الخواجة نصير الدين الطوسي والشهيد الثاني والشهيد الأوَّل والقاضي نور الله الشوشتري والعلامة الحلِّي والمقدِّس الأردبيلي وغيرهم.. فعندما ينظر الإنسان إلى تاريخ هؤلاء، يرى أنَّهم منار

العلم والكمال والدراية، وفي الوقت نفسه يرى القداسة والتقوى كامنة في أرواحهم، وليس للدنيا قيمة عندهم.. واقعاً لم يكن للدنيا أيّ قيمة عندهم. في الواقع لقد كان هؤلاء مصابيح ومنازل، وكانوا يقودون الناس نحو ذاك المقام الذي كان رسول الله والأئمة قد سبقونا إليه، كما أنّهم كانوا يهدون أنفسهم وجميع من جعل نفسه ضمن دائرة شعاعهم والتسليم لهم، كي يصلوا إلى مقام الكمال.

وهناك عبارة للمرحوم الشيخ المجلسيّ ينقلها في مقدّمة "بحار الأنوار" التي ذكر فيها مصادر الكتب التي اعتمد عليها، وتناول أيضاً ذكر مؤلّف كلّ كتاب على حدة، فقد تكلم هناك عن المقدّس الأردبيليّ - الذي عاش قبل أربعمئة سنة تقريباً وتوفي في النجف وقبره متّصل بقبر أمير المؤمنين عليه السلام - بمقدار سطرين أو ثلاثة، حيث قال: "والمحقّق الأردبيلي في الورع والتقوى والزهد والفضل بلغ الغاية القصوى ولم أسمع بمثله في المتقدّمين والمتأخّرين، جمع الله بينه وبين الأئمة الطاهرين، وكتبه في غاية التدقيق والتحقيق"^(١).

حسناً، انتبهوا جيداً، يقول المجلسيّ: إنّ كتب المقدّس الأردبيليّ من جملة المصادر التي اعتمد عليها - والحال أنّه كان متقدّماً عليه بمئة سنة تقريباً، أو ما يزيد عن المائة بقليل، وفي الحقيقة يمكن القول أنّهما كانا في عصرين متعاقبين ومتقاربين - ونعته بالزهد والورع والتقوى والعلم والفضل، حيث قال في حقّه "بلغ الغاية القصوى" أي آخر نقطة يمكن أن

^١ - بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٤٢.

تكون هدفاً للإنسان، ولم يسمع بوجود مثله في العلماء المتقدمين والمتأخرين، وأن كتبه في منتهى التحقيق والتدقيق.

والمجلسي حرّيت هذا الفنّ، فهو علامة عصره في معرفة الرجال ومعرفة العلماء وتشخيص الكتب، ولا يمكن أن ينخدع في هذا الفنّ أبداً، بل لا يمكن أن يتصور هذا الأمر في حقّه، وهو يمتدح هذا العالم بـ: "أنّه لم يسمع بمثله في المتقدمين والمتأخرين"، فهذه مسألة مهمّة جداً، ماذا كان المحقّق الأردبيلي وماذا كانت علومه وكيف كانت حياته في النجف، ما هي المشكلات التي تحملها، وكم كان جلوداً في تحمل المصائب، كم كان يُؤثر على نفسه وكم كان بعيداً عن هواه، وإلى أي حدّ غاص في أغوار العلم وحقيقة العلم، حتى قيل في حقّه هذا الكلام وصار مرضياً ومقبولاً بالنسبة لنا؟!

إذن العلم يعطي الكمال للإنسان ويعطيه القدرة، والذين يسعون وراء العلم ويقرونون العلم بالعمل - والعلم في واقعه هو العمل ويدور معه، والعالم بدون عمل يجب أن لا يقال له عالم - يصلون إلى تلك المقامات التي وردت في الرواية وفي الآية القرآنية: ^١ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْعِلْمَ تَتْلُمُونَ الْعِلْمَ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ% (١).

فالله تعالى جعلكم مصابيح الهداية، وجعلكم الهادين لجميع البشر، وخلفاء الله على الأرض. وأنتم حاملو اللواء يوم القيامة؛ حيث يحمل رسول الله لواء الحمد بيده ثمّ يحمله أمير المؤمنين وبعد ذلك يصل هذا

^١ - سورة آل عمران قسم من الآية ٧٩.

اللواء إلى أيديكم. لذا عليكم أن تكونوا حذرين ومحافظين على هذا المقام؛ لا يردىكم غروركم، ولا يذهب بكم علمكم، فالعلم يُردي الإنسان أكثر من أيّ شيءٍ آخر، والعلم كمال مثل الجمال في المرأة.. المرأة الجميلة لديها غرور والجمال يؤدّي بها إلى الغرور. والعلم في الرجال بمنزلة الجمال في النساء، فإذا زاد علم الرجل سيزيد خيلاؤه طبعاً ويزيد غروره، لكن يجب أن نحاسب هذا الغرور ونفهمه بأنّ هذا العلم ليس لنا، هو علم الله، فهو الذي يعطيه وهو الذي يأخذه، والإنسان ليس سوى آلة في ذلك، وإذا اعتمد الإنسان على نفسه فسيؤدّي ذلك إلى الفرعنة والأنانيّة، وستتحرك هو وجميع الأشخاص المرتبطين به نحو نفسه، وسيصير محوراً وهدفاً، فبدلاً من أن يعتبر نفسه ووجوده مرآة لله تعالى يصير بنفسه محوراً يدعو الجميع إلى ذاته، لأنّه يعتبر نفسه أعلى من الجميع ويرى نفسه مقابل الله، فإنّه وإن لم ينف وجود الله ووجود النبيّ ووجود الإمام ووجود الكتاب، لكنّه عملياً يرى أنّ كلّ ما يترشّح عليه من فكره هو الحقّ وما سواه باطل مهما كان، حتى لو واجه آية قرآنيّة أو رواية صحيحة فسوف يؤوّلها ويسقطها عن الاعتبار ويضعها جانباً، ويقول الحقّ ما ذكرناه فقط!

وهذا الأمر من أعظم المخاطر، حيث سيتبدّل ذاك العلم الصافي الموجود الآن في نظام الوجود إلى نظام جهنّمي، ويتبدّل هذا المحور الخير إلى جهنّم، لذا قد ورد عندنا في الروايات الحثّ على التنبّه والحذر من هؤلاء العلماء وعدم اتّباعهم، خشية أن يكون عملك قد صدر من مثل هذا الحال! فتحصيلك للعلم يجرك إلى التجبّر والتكبر! لذا عليك أن تعتبر

نفسك لا شيء وغير موجود، وأن ترى هذه النفس مركزاً للتجليات العلميّة لله تعالى .

روي في كتاب "عدة الداعي" نقلاً عن البحار، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من ازداد علماً ولم يزد هدى (ولم يزد نور قلبه، ولم يزد قربه من الحق) لم يزد من الله إلا بعداً"^(١).

فبدلاً من أن يكون العلم مقرباً إلى الله يصير مبعداً. وعلى سبيل المثال إذا كان رجل يدرس وكان في الدرجة الخامسة فبدلاً من الدرس والارتقاء إلى الدرجة السادسة يهبط إلى الدرجة الرابعة، وبعد غدٍ يدرس فيصل إلى الدرجة الثالثة، وبعده يصل إلى الثانية وبعده إلى الأولى وبعده إلى درجة الصفر، ويا ليت التنازل يقف عند الصفر، بل تحت الصفر بواحد، ثم تحت الصفر باثنين، تحته بعشرة آلاف، بمائة ألف.. إلى ما لا نهاية. إذا كان هذا الإنسان قد وصل إلى ما لا نهاية في التنازل، فالله تعالى أيضاً لديه من مقام الفضل والكرم والرحمة ما لا نهاية له، كما أنّ تجلّي الجلال والغضب الإلهي في الجهة المقابلة لا نهاية له. فلهيب جهنم ناشئ من فوران النفس.. فالنفس التي اتبعت هواها أشدّ لهيباً من النار وأخطر.. هذه النفس التي ظهرت بلباس الدين وتقمّعت بقناعه، وتعنّوت بعنوان تأييد شريعة سيّد المرسلين، لكن كلّ ذلك كان دعوة إلى النفس ووقوفاً بوجه الله ووقوفاً بوجه الإمام، لكنّه كان بصورة الدين، بصورة القرآن، بصورة الكتاب، وبصورة السنّة، هذا الأمر من الأمور العجيبة جداً!! كيف يمكن للإنسان أن يصدّق أنّ هذا الشخص قد سعى لطلب العلم، سعى

^١ - بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٧، وعدة الداعي، ص: ٦٥.

للكمال لكنّه وقع في النهاية في الهلاك من خلال هذا الطريق! أويُعقلُ هذا الأمر؟! نعم!

فالقُرآن الكريم يقول: ^١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ^(١).

وفي آية أخرى يقول: ^٢ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ^(٢).

فعندما يغيروا ما بالفساد ويغيروا الصفات النفسانية، يغير الله نعمته عليهم؛ فيسلط عليهم العذاب الخالد، ويرسل عليهم القحط والزلازل والبراكين، وتفتح الجبال أفواهها وتقذف حمم لهيبتها، ينتشر المرض والوباء ويحصل القحط والجفاف وتشتعل الحروب فتُهلك الحرث والنسل. لماذا؟ لأنهم بدلاً من أن يعتبروا هذه النعمة التي منحهم إياها الله لهم من الله ويشكروه عليها، كفروا بها ونسبوها إلى أنفسهم وأسندوها الأمور الطبيعية، واعتمدوا على الأمور السطحية، وقطعوا علاقتهم بالله، فقال الله لهم: حسناً! إذا كنتم تقولون إنكم قد انفصلتم عن عهدي واستقلّيتم بأنفسكم، فهذا عنان أنفسكم جعلته على عاتقكم، ولنرى ماذا يمكنكم أن تفعلوا؟!

^٣ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ % (البركات الروحية والمادية؛ البركات السماوية كالعلم والمعرفة

^١ - سورة الأنفال، من الآية: ٥٣.

^٢ - سورة الرعد، من الآية: ١١.

والدراية وبلوغ الفعلية، والبركات الأرضية كرفع المصائب والمرض والشدائد، لا مجرد رفع المصائب والأمراض فقط، بل نجعل الدنيا لهم دوحة غناء، وحيث ما يضعوا يدهم يروا الخيرات، كل ذلك بسبب إيمانهم وتقواهم) ^١ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ% (وسلبنا منهم كل هذه البركات، وما أسهل هذا الأمر علينا)^(١).

فيما سبق كانت تُدرّس في الحوزات العلمية دروس القرآن والتفسير، وكان لدى الكثير من العلماء الكبار من قبيل الشهيد الأول والشهيد الثاني دروساً في المعرفة ودروساً في الكلام، وكان لدى العلامة الحلّي مدرسة سيّارة في ركاب السلطان "خدابنده"، وكان العلامة إلى آخر عمره يذهب مع السلطان حيث ذهب حفاظاً على الشريعة؛ فحينما كان السلطان ينزل في مكان، كانت تُنصب الخيام ويأخذ كل طالب مكانه فيها وتُنزل الإبل حمولتها من الكتب، وتُشاد في ذلك المكان مدرسة، هكذا كانت مدرسته وهكذا كان تعليمه. وأخيراً ارتحل عن الدنيا في "كرمانشاه" وانتهت بوفاته هذه المدرسة. ومن هنا نرى أن بعض كتب العلامة قد فرغ من كتابتها في "كرمانشاه" في مدرسة "السلطانية" السيّارة. لماذا كان يفعل كل هذا؟ لأنه كان يشعر بالمسؤولية، فقد أسلم السلطان "خدابنده" حديثاً، وإذا تركه سوف يرتدّ عن الإسلام. فكان يقوم - وبداعي الحفاظ على الشريعة، ومع آلاف الغصص التي كان يتجرّعها عالم مسنّ مثل العلامة الحلّي - بدعوة الطلاب عبر الإبل وخيم الكتّان من هنا وهناك في الحرب

^١ - سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

والسلم والسفر والحضر حتّى يحفظ إسلام هذا الرجل، وقد وُقِّق في ذلك^(١).

وكذا في زمان الشيخ الأنصاري رحمة الله عليه - ذاك الرجل المقدّس والمتديّن، فإنّه وإن لم يكن من أهل العرفان ومن أهل التوحيد، إلاّ أنّه كان فقيهاً ورجلاً عادلاً وصادقاً - حينما كان البعض يرجعون إلى هذا العالم ويطلبون منه درساً في أمور الحكمة والمسائل الإلهيّة، كان يقول لهم: إنّي لست أهلاً لهذه الدروس، اذهبوا إلى سبزوار عند الملام هادي السبزواري وادرسوا عنده. انظروا! إلى هذا المرجع والشخص الذي يُعتبر الرأس في الحوزة، يجيز لنفسه أن يقول: أنا لا أعرف هذا المطلب! اذهبوا إلى ذاك المكان من العالم! - وأنتم تعرفون المسافة الطويلة التي تفصل بين النجف وسبزوار فهي تستغرق الكثير من الوقت - والطلاب الذين ربّاهم المرحوم الشيخ هم طلابٌ جيّدون، وكان ثلاثة عشر منهم من أساتذة الفقه والدراية منارة في والتقوى حقّاً، ولم يكن فيهم أثرٌ من هوى النفس، حتى أنّه بعد وفاة الشيخ الأنصاري أرادوا أن يعيّنوا زعيماً للحوزة فوقع بينهم نزاع، وكان يقول بعضهم للبعض الآخر يجب أن تكون أنت الزعيم! فلم يكن يقبل، بل كان يقول: ليس لديّ القابليّة في تولي هذا المقام، وكانت تلك المجالس تنتهي في بعض الأحيان بالبكاء والنحيب^(٢).

^١ - ذكر العلامة الطهراني رضوان الله عليه هذا المطلب بشكل مفصّل في كتاب **معرفة الإمام** الجزء التاسع، صفحة ١٢٣. المترجم

^٢ - ذكر المرحوم العلامة الطهراني رضوان الله عليه تفصيل قصّة تلامذة الشيخ الأنصاري في كتاب **ولاية الفقيه**، الجزء الثاني، صفحة ٩٥، حيث قال هناك: ... نقل عن المرحوم الميرزا الكبير الحاج

الميرزا محمد حسن الشيرازي أعلى الله مقامه أنه قال: إنني لم أخطُ أيَّ خطوة نحو الرئاسة، وإنَّ هذا الأمر قد حصل بنفسه، وأخذ بتلابيبي، مع أنني لم أكن راضياً أيضاً.

وينقل أنه بعد وفاة المرحوم الشيخ الأنصاري رحمة الله عليه، اجتمع كبار طلابه الذين كانوا سبعة عشر شخصاً، أمثال الميرزا حسن الطهراني النجم آبادي والحاج الميرزا حسين والحاج الميرزا خليل وغيرهم، وكانوا جميعاً من الأجلاء، فاجتمعوا ودعوا أعظم تلامذة الشيخ إلى ذلك المجلس، سوى السيد حسن الكوه كمره اي الذي لم يدعوه إلى هذا الاجتماع، لأنه كان رجلاً مستبدًا برأيه ولا يتزحزح، مع أنَّ علميته كانت بدرجة كبيرة ولكنهم لم يدعوه لهذا الاجتماع، لأنهم لم يرتضوه زعيماً لأُمور المسلمين، ولم يرتضوا حتى مشورته. واجتمع أخيراً هؤلاء السبعة عشر شخصاً من طلاب الشيخ وكانوا على درجة عالية من التقوى، واتفقوا جميعاً في ذلك على لزوم تقديم الميرزا محمد حسن الشيرازي لتسلم مقاليد الأمور وصيرورته مرجعاً لأُمور المسلمين المترجم

لكن الميرزا محمد حسن الشيرازي لم يكن غير مسرور في ذلك المجلس فحسب، بل راح يبكي وأجهش بالبكاء، لأنهم ألقوا مسؤوليّة هذا الأمر في عنقه، وهو لا يرى نفسه أهلاً لهذا العمل، ولا يرى ذلك من وظيفته أو ممّا يمكنه القيام به وأمثال ذلك.

ثم قال بعد ذلك للميرزا حسن الطهراني النجم آبادي الذي كان من الطلاب المعروفين للشيخ: إنني أشهد أنك أعلم مني، فكيف تعيّنتي لهذا الأمر؟ فأجاب الميرزا حسن الطهراني: نعم أنا أيضاً أرى نفسي أعلم منك، ولكني لا أصلح للرئاسة، فالرئاسة - مضافاً إلى الأعلمية - تحتاج إلى عقل وفكر وتحمل وسعة لكي يمكن النهوض بهذا الأمر، وأنا لا أمتلك هذه الصفات وأنت تمتلكها، لذا نصّبت لهذا الأمر، ونحن أيضاً نكون معك ونقدّم لك العون ولا نتركك وحيداً. وخلاصة الأمر فقد ألقيت المرجعية في عنق الميرزا محمد حسن الشيرازي رضوان الله عليه مع بكائه وعدم رضاء.

وكذلك قيل حول المرحوم آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمة الله عليه: كان قلبه طاهراً وصافياً ونورانياً إلى درجة لم يكن يتخيّل الرئاسة أصلاً، ولم يكن يخطر في باله التفوق، أو يدرك معنى الرئاسة. ويقال، إنَّ الشيخ هادي الطهراني الذي كان معروفاً بانتقاده لجميع العلماء وتعيينه لهم، لم يستطع أن يشكل على الميرزا محمد تقي الشيرازي ولا على نهجه وهدفه وقدس وطهارته وصفاء باطنه. نعم كان إشكاله الوحيد هو قوله: إنَّ صفاء الميرزا محمد تقي هذا ليس صفاءً اكتسابياً، بل هو ذاتي له، وليس هو المطلوب.

فهو معصوم ذاتاً وخارج عن الموضوع، والتحسين والتقيح إنَّما يكون على الصفات الاختيارية، والميرزا محمد تقي الشيرازي معصوم ذاتاً، وكان يذكر هذا أيضاً كعيب له.

فيجب أن تُسلم الأمور لمثل هؤلاء! مثل الميرزا محمد تقي الشيرازي الذي لا يتفاوت الأمر بالنسبة إليه لو أقبلت كل الدنيا إليه أو أدبرت عنه. وينقل عنه قصص كثيرة ومفصلة.

أما بعد زمن المرحوم الشيخ وطلابه، فقد وقعت حادثة المشروطة وما ترتب عليها من اختلاف بين العلماء نتيجة نفوذ النزاع السياسي بين الروس والإنكليز إلى الحوزة، عندها تعكّرت الأجواء قليلاً، وصار كلٌّ يجرّ النار إلى قرصه؛ فهذا يدّعي أنّه هو الذي يمثل الشريعة، وذاك يدّعي أنّه الذي يمثل الشريعة. حتّى نشبّ النزاع بينهم واستمرّ على هذا الحال، فلم يعد هناك درس حكمة ولا فلسفة ولا عرفان بل تعطلت هذه الدروس، وتعطلت دروس المعارف أيضاً، وأخيراً وصلت الأمور إلى نقطة فاضحة جداً بحيث لم يعد يجرؤ أحد على ذكر اسم كتاب الأسفار مثلاً

من جملة ما يحكى عنه: سئل سماحة الشيخ محمد البهاري رحمة الله عليه - وكان من الطلاب البارزين للمرحوم حسينقلي الهمداني رضوان الله عليه - عن الرجوع في التقليد إلى الميرزا محمد تقي الشيرازي، فقال: سوف أمتحنه!

وكان المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي يصلي إماماً للجماعة في الصحن المطهر لحرم سيد الشهداء عليه السلام ويقتدي به كل من يصلي في الصحن، فجاء سماحة الشيخ البهاري يوماً ووضع سجادة الصلاة بموازاة سجادة الميرزا الشيرازي وشرع بالصلاة مقارناً له أثناء تأدية الميرزا محمد تقي الشيرازي للصلاة، وبعد أن فرغ من الصلاة قال لأولئك الأشخاص الذين كانوا قد سألوه: قلّدوا هذا الرجل! لأنّه لم يخطر في قلبه أصلاً في جميع حالات الصلاة أنّ هذا الشخص قد جاء ووقف إلى جانبه وأخذ يصلي بموازاته!

ويحكى أيضاً أنّ الشيخ محمد البهاري نفسه كان في أحد أسفار الزيارة إلى سامراء قد ركب نفس المحمل الذي ركب الميرزا محمد تقي الشيرازي (وكان الناس يسافرون في ذلك الزمان بواسطة العربة أو الهودج، فكان يجلس إلى هذه الجهة شخص بينما يجلس في الجهة الأخرى للمحمل شخص آخر) قال: إنّي قد طرحت مطلباً علمياً وهدفت منه إثارة عصبية الميرزا وإخراجه عن طوره، عسى أن تصدر منه جملة أو كلام خلاف، ولكن لم يصدر منه أي ردّ فعل على الرغم ممّا كنت أفعله طوال هذا السفر بين الكاظمية وسامراء - يبلغ ثمانية عشر فرسخاً الذي قطعناه سوياً على البغل - حتّى أنّي كنت في بعض الأحيان أتصنّع استعمال ألفاظ (مثل لا تفهم هذا المطلب وما شابه هذا الكلام) ومع ذلك بقي محافظاً على طوره وظلّ يجيبني بهدوئه المعتاد. انتهى

في حوزة النجف أو في حوزة قم، ولم يعد يُرى في المكتبات أيّ كتاب عن الحكمة، ومن يريد أن يدرس هذه الدروس - وكان يعدّ بطبيعة الحال رجلاً غريباً - لم يكن ليجد له درساً في تلك الحوزة. مع العلم أنّه كان يوجد أساتذة كبار في الحكمة من قبيل الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والميرزا محمّد باقر الاصطهباناتي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، الذين كانوا من أساتذة الحكمة وكانوا من المحافظين عليها.

وبعد أن ارتحل هؤلاء ارتحل معهم كلّ شيء، وارتحلت معهم العلوم العقليّة. ولم يكن بميسور أحدٍ إلاّ الاكتفاء بقراءة رواية مثلاً ويقوم بشرحها وبيان ظاهرها وتأويلها، وهذا الشرح والتأويل خاضع في الواقع للأفكار التي يحملها القارئ، والحال أنّ الروايات لا يمكن أن تفهم أصلاً بدون العلوم العقليّة.

هذا بالنسبة للحكمة، وأما العرفان فلا تذكر اسمه على لسانك أصلاً، فإذا أراد شخص لا قدر الله أن يسعى وراء الواقع والحقيقة ويهتمّ بنفسه قليلاً، فسوف يكون هذا القدر كافياً في أن تنظر الحوزة جميعها إليه نظر إهانة وتسخيف، وتعتبره من الأراذل بل وشخصاً كافراً وأجنبيّاً.

ما معنى هذا؟! إذا كانت الحوزة.. حوزة النجف حيث مقام أمير المؤمنين، فما معنى هذا الكلام؟! لماذا يمنع اسم العرفان هنا؟! هل تعلمون ما معنى هذا؟ هذا معناه أنّ نفس اسم أمير المؤمنين عليه السلام ممنوع! نفس أمير المؤمنين عليه السلام صار هدفاً للسهام، لذا صارت علومه هدفاً للسهام أيضاً. هل كان لنهج البلاغة وجود في النجف؟ وهل كان أحد يعلم بنهج البلاغة؟! ولعلّ بعض الطلاب كانوا يذهبون إلى

النجف وبيقون هناك عشرين عاماً ويعودون إلى بلادهم، دون أن تمرّ يدهم على نهج البلاغة، ودون أن يعلموا ما هو هذا الكتاب؟ هو نهج البلاغة من تأليف أمير المؤمنين، بل هو نهج في الفصاحة والبلاغة، ويقال إنه الكتاب التالي للقرآن، هذه ليست أساطير!! هذه وقائع وحقائق...

من هنا تفهم أنّهم لأجل هذه المطالب كانوا يرمون المرحوم القاضي رضوان الله عليه بالتصوّف، وكذلك كانوا يقولون بحقّ أستاذه الذين هم أعلى منه كالأخوند ملاّ حسينقلي الهمداني بأنهم من الصوفيّين، وأيضاً عن السيّد جمال أنّه صوفيّ، وكانوا يقولون عن السيّد عبد الهادي الشيرزاي الذي كان منزهاً ومهتماً بمجاهدة نفسه أنّ لديه ميلاً للتصوّف، ويعتني بتلامذة المرحوم القاضي.

هذا هو ميزان النجف، ألا ينبغي علينا أن نقرأ الفاتحة على هذه الحوزة؟! وأن نعلن وفاتها واقعاً؟! هل هذه هي الحوزة؟! يعني هل هذه هي تربية مدرسة القرآن وأمير المؤمنين؟!.. بعض الأشخاص اجتمعوا على سفرة سوداء، هذا يسحبها نحوه وذاك يسحبها نحوه، وهذا يدعو فلاناً وذاك يدعو فلاناً، وهذا يرسل رسالته العمليّة لطبعها في هذه المدينة... وهكذا وهكذا!!

هل تعلمون كم لاقينا في السنوات التي أمضيناها في النجف الأشرف من المرات على يد هؤلاء؟ ماذا كانت تُهمّتنا؟! هل كنتُ صوفيّاً؟! هل كنتُ مُرسلاً للشاريين كما يفعل الصوفيّون؟! هل كان في يدي كشكول الدراويش؟! هل كنت أحمل عصا الدراويش؟! لا لم يكن شيءٌ من ذلك أبداً، فقط لأنّ الإنسان يريد أن يفهم ما هي حقيقة! إذا كان

الله موجوداً واقعاً فلنرى ما هو؟ إذا كان ما يقوله الإمام صحيحاً فلننظر ما هو؟ لم يكن هناك أي شيء غير السعي وراء الفهم. لكن هؤلاء الأشخاص رأوا أنه إذا ظهرت هذه الطريقة وصارت واضحة، فسوف تخرب جميع دكاكينهم، فهم في اضطراب دائم، علمهم علم شيطاني، يخافون أن لا يعود أحد يسمع لكلامهم أبداً، أن لا يصل كلامهم إلى أذن أحد، فإذا كان مخاطبوهم من أهل العلم والاطلاع، يمكنهم أن يبحثوا ويعرفوا أن حقائقهم خالية المحتوى وخاوية من أساسها.

كنت يوماً في أحد المجالس في النجف، فشهدت بنفسي نزاعاً حدث بين شخصين، وكان أحدهما يقول للآخر لماذا أتيت بفلان (الحاج عبد الرزاق الكرمانشاهي) إلى النجف وأخذته إلى فلان؟ فهؤلاء إذا أتوا إلى النجف يجب أن يبقوا بعيدين عن هذه الأجواء، وعليهم أن يكتفوا في النجف قليلاً ثم يرحلوا، لأنهم إذا بقوا في النجف وأطلعوا على حقيقة أفكار وأخلاق البعض، فسوف يقطعوا إرسال الحقوق التي بأيديهم إلى النجف!

لقد صارت حوزة النجف حوزة القتل والإغارة والنهب وسلب سهم الإمام، كم تحمّل منهم أمير المؤمنين؟! كم صبر عليهم ولم يطردوهم خارجاً؟! أتسمعون ما أقول لكم؟ لقد كنت في النجف، والله تعالى هو الذي حرسني، هناك ثلاثة عوامل جعلتهم عاجزين عن طردني من النجف، وإلا لطرّدوني.

الأول: أنني لم أكن آخذ راتباً شهرياً من أحد، وإلا لقطعوا هذا الراتب حتماً، فكل من كان يقيم أكثر في مسجد السهلة أو في مسجد الكوفة، أو لم يكن يشارك في المجالس العموميّة، كانوا يقطعون راتبه.

والثاني: إن أقاربي وعشيرتي كانوا جميعهم من العلماء وأهل العلم، سواء الأموات أم الأحياء، وهؤلاء كانوا يعرفونهم جميعاً، ولم يكونوا يستطيعون مواجهتي خوفاً منهم، وكانوا يعرفون أن أقاربي العلماء سيقفون في وجههم إذا واجهوني، وكانوا يرون أن جاههم وشخصيتهم لا تقدر على هذه المواجهة.

الثالث: أنني كنت من الطلاب الجريئين، بحيث أن كل من كان يقف أمامي كنت أواجهه مباشرة، فلم يكن أحد يجرؤ على ذكر السيد القاضي بسوء في المجالس أو المحافل التي أكون فيها، وكل ما كان يتقول عليه كان يحصل بغيابي، لكنّه كان يصل إليّ.. وكذا الحال بالنسبة للعلامة الطباطبائي، أبداً وأبداً!! لقد كنت أواجههم بكلمات معدودة مفادها أن كل ما لديكم لا يساوي فلساً، وحقيقة الأمر هي هذا. ولا يزال بعضهم حياً حتى الآن. ومع ذلك عندما كانوا يروني ماشياً في الطريق كان الجميع ينظر إليّ نظر بغض وعداوة، فمن المعلوم أنهم سمعوا عني شيئاً، وإلا فمن ينظر إليّ؟ أنا طالب علم ذهبت إلى النجف.. سيّد.. مشغول بالدرس.. مشغول بأعماله الخاصّة.. ولم يكن وضعي الدراسي سيئاً، وكان العلماء يقولون: درسه جيّد، لا يضيع عمره هدراً وأمثال ذلك، وكنت أكتب تقارير الدرس أيضاً وغير ذلك، ومن هذه الجهة أيضاً لم يكن هناك أي مشكلة.

إذن ما المشكلة؟! المشكلة هي أنكم تقولون: هذا الشخص صوفيّ ومنحرف.. لنأتِ ونستوضح المسألة، ما معنى كلمة صوفيّ؟ هل تعني الدرس جيداً؟! هل تعني التوجّه ومراقبة النفس؟! إذا كان الأمر كذلك، فجيّد للإنسان أن يكون صوفيّاً. وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا إذاً تلقون التهم؟! أنتم الذين تتّصفون بعنوان المرجعيّة (ومراجع ذلك الوقت كانوا يتبنون على هذا الأساس). وكان البعض يقول: نحن نقبل بكليّات العرفان، لكنّ هذا الكلام من الأمور الجزئيّة وليس مهماً، فالإنسان سيصل، وعليه أن يتّبع هذه المصادر وهذه الأمور؛ وهي تبليغ الشريعة وترويجها! وليس هناك أيّ شيء آخر.

حسناً! أنتم تعرفون في هذه السنوات كم لاقى المرحوم السيد القاضي والعلامة الطباطبائيّ وأمثالهما وكلّ من يريد أن يشمّ شيئاً من رائحة العرفان.. من التهم! وكم عانوا من حالة التضيق؟ هؤلاء أُسقطوا من الوجود. أمّا أولئك فاجتمعوا حول قبر أمير المؤمنين تحت عنوان الدين، وبمعنوان حفظ الشريعة، وبمعنوان الحفاظ على حوزة الألف عام التي أسّسها الشيخ الطوسي، باعتبار أنّ هذا الواجب ملقى على عاتقهم الآن، يريدون أن يحفظوا الحوزة... حسناً تفضّلوا واحفظوها! فهل يمكن أن يحتال أحد على أمير المؤمنين؟! عزيزي! لا فرق عند أمير المؤمنين بين حياته ووفاته، فهو يحفظها.. هو يحفظها.. هو يحفظها، وفي آخر المطاف سوف يلقىكم على وجوهكم في قعر جهنّم، لن يرميكم على المطّاط.. إنّه أمير المؤمنين الذي لا يمكن التلاعب معه.

إنّ العلماء المغرورين بأنفسهم والمتباهين بشهرتهم، الذين يجعلون الدنيا شبكة يصطادون بها الطعام لأنفسهم، هم أخطر من أيّ كائن على الأرض!!

كنت أفكر يوماً بأنّ الله خلق في هذه الدنيا بعض الحيوانات؛ كالذئب والأسد والنمر، فهذه كلّها حيوانات مفترسة، وقلت في نفسي مثل أيّ حيوان هؤلاء؟ لكن رأيت أنّه لا يمكن أن نشبّههم بأيّ حيوان، بل يجب أن نشبّه الحيوان هؤلاء الأشخاص، وبعد ذلك رأيت أنّه لا يمكن تشبيه الأسد والنمر هؤلاء أيضاً، فهذه الحيوانات حكمها حكم الدبابة، فالدبابة عندما تتحرّك إلى الأمام لا تفهم شيئاً، سواء كان تحتها إنسان أو حيوان أو شجر أو حائط أو أيّ شيء آخر، فإنّها سوف تسحقه وتكمل تقدّمها. وعلماء السوء - والعياذ بالله - نفوسهم هكذا، فهم لأجل العثور على مقاصدهم وتخيلاتهم الشيطانية لا يمكن أن يقف أيّ شيء في وجههم ولا يمنعهم أيّ مانع من تحقيقه. إذا قرأت لهم آية قرآنية، فسوف ينكرون دلالتها سريعاً ببعض الأمور، ويقولون إنّها تتحدّث عن تلك المسألة أو تلك، ولا تتحدّث عن هذه المسألة. نقرأ لهم رواية، يقولون إنّ هذه الرواية معارضة بتلك الرواية، ويجب العمل بتلك الرواية. عزيزي! أنت بالأمس رجّحت هذه الرواية في المجلس الفلاني، فكيف ترجّح الآن تلك الرواية طبقاً للمصلحة التي تراها؟! كنت تقول إنّ لتلك الرواية معارض، وهي غير صالحة للعمل على طبقها، فلماذا تتمسّك بها اليوم؟! وأمثال ذلك... عجيب جداً!

حينئذٍ... - انتبهوا جيداً لتعرفوا المسألة من أي قبيل هي! - المسألة هي أنه لو سمعتم أنّ صدّام لعنة الله عليه قد دخل بالدبّابات إلى صحن أمير المؤمنين عليه السلام، فلا تتعجّبوا كثيراً.

أقسم بالله إنّ ذاك الشخص الذي يتسمّى باسم المرجعية مثلاً وأمثاله، والمنحرف عن صراط أمير المؤمنين، ويرد الصحن بالأبّهة والعظمة والجلال والحاشية.. هو أسوأ حالاً من ألف دبّابة وأخطر! وتلك الدبّابات البشريّة هي التي أوجدت هذه الدبّابات الآليّة، هذه الدبّابات إنّما هي لامتحاني أنا وأنت؛ "الظالم سيفي أنتقم به وأنتقم منه"^(١)، فصدّام رجل

^١ - قد ورد مضمون هذا الحديث في روايات الخاصّة والعامّة:

أما روايات الخاصّة: فقد ورد في الكافي، كتاب الكفر والإيمان، باب الظلم، ج: ٢، ص: ٣٣٢، حديث: ١٣: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن ابن أبي نجران عن عمّار بن حكيم عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام مبتدئاً: من ظلم سلط الله عليه من يظلمه..

وأيضاً في صفحة ٣٣٤ من نفس المصدر الحديث ١٨:

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن أبي نهشل عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام (في بعض النسخ عن أبي جعفر عليه السلام): قال: قال من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه...

وأيضاً في كتاب ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص: ٣٢٣، حديث: ١٦:

أبي رحمه الله قال: حدّثني سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى اليقطيني عن إبراهيم بن عبد الحميد عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم وذلك قول الله تعالى: ^٨ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا%.

وأما في روايات العامّة فقد ورد في كتاب الدرر المنتثرة، للسيوطي: الظالم عدل الله في الأرض ينتقم به ثمّ ينتقم منه.

وأيضاً في نفس الكتاب: من الله تعالى يقول: أنتقم ممّن أبغض بمن أبغض ثمّ أصير كلاً إلى النار. ومثله في المقاصد الحسنة للسخاوي.

ظالم ومنتقم، لكنّ هذه الأمور لم تأتِ بلا سبب، وليست وليدة نفسها، ليست خافية على الله تعالى ونظره، وليست خافية على إمام الزمان، لا يستطيع صدام أن يخدع الله تعالى ويختفي في هذه الغرفة ثمّ يفاجئه بالظهور أمامه. فإنّ صدام مع كونه ظالماً وعليه لعنة الأولين والآخرين، حيث لم يظهر رجل ظالم مثله^(١)، إلاّ أنّه مع ذلك إذا أردنا أن نقيس الأمور بالتحقيق؛ هل هذا أخطر أو ذاك الملتحي من أوّل عمره الذي لبس الجبّة والعمامة وذهب إلى سراديب النجف المرطبة ونام على السطوح وتحمل كلّ هذه المصاعب الشديدة، كلّ ذلك كان لأجل أن يصبح زعيماً، لا لكي يقدم خدمة للدين!

لا يمكن أن يُخدع أمير المؤمنين، فأمر المؤمنين صالح وهو يريد أن يقلب أمور هذا الجهاز الفاسد. وانظروا آية أنظمة جيدة سوف تأتي

وفي كتاب الأسرار المرفوعة للملاّ علي القادري: ما انتقم الله من قوم إلاّ بشرّ منهم.

وأيضاً في كشف الخفاء للعجلوني: إنّ الله ينتقم من الظالم بالظالم.

١- نعم! في هذه الأثناء وحين مراجعتي للكتاب قبل طبعه، يعني في العاشر من صفر الخير سنة ١٤٢٤ من الهجرة، شاهدنا سقوط صدام الملعون واضمحلال حكومته، حكومة بعث العراق المخزّية التي وقفت ضدّ الشريعة والبشريّة، على يد أميركا والإنكليز. وشاهدنا معجزة المشيئة الإلهية والتقدير الإلهي في نظام عالم التكوين، ورأينا إنجاز الوعد الإلهي في انهزام الجبارين والظالمين بأمّ العين، ونسأل الله تعالى أن تستمرّ هذه السنّة التكوينية في محو وسقوط جميع المستكبرين والظالمين، على يد صاحب الولاية الكبرى الإمام بقيّة الله أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

عيسى به رهي ديد يكي كشته فتاده حيران شد وبگرفت به دندان سرانگشت
گفت ای كشته كراکشتی تا كشته شدی زار تا باز مگر كشته شود آنکه تو را كشت

(والمعنى: رأى عيسى مصروعاً على الأرض، فاحترق في أمره ووضع إصبعه في فمه وقال أيها المصروع من صرعت حتى تُصرع بهذه الذلّة، فالأمر سيّار فالذي صرعتك سوف يُصرع).

بعد ذلك إنشاء الله مكان هذه التي ستضمحلّ، والحوزة التي ستقام بعد هذه هي حوزة جيدة؛ الحوزة التي يرتضيها الشهيد الأوّل والشهيد الثاني والعلامة الحلّي والمقدّس الأردبيلي وأمثال هؤلاء، الحوزة التي تحمي القرآن والعلم والعرفان والعقل والدراية، وتتيح لطلابها الوصول إلى الحقائق، الحوزة التي تدعو طلابها إلى الإيثار والصفح والعبادة وإحياء الليل والتفكير في آلاء الله تعالى، الحوزة التي يكون طلابها من المحصّلين والمجدّين والمراقبين كلّ ساعة من حياتهم كي لا تذهب سدى، وممن يرون أنفسهم جنوداً وعباداً لله يعملون على طبق أوامره وطلبه. عندها ستقام تلك الحوزة إنشاء الله.

نعم هذه الصفات التي نقرؤها في الروايات وأمثالها، عندما نطبّقها على أفعال هؤلاء، نظلّ نؤوّلها ونقول: لنحملها على الظاهر.. احملها على الظاهر! احمل هذا الفعل على الصحّة! احمل على الصحّة! نقول ذلك قدر المستطاع. على الإنسان أن لا يتجاهل الظاهر مطلقاً، لا أبداً، فنحن نحمل على الظاهر ونحمل على الصحّة، لكن هل يغيّر الحمل على الظاهر من الواقع شيئاً؟! فنحن نحمل على الظاهر ونختار السكوت، ويذهب الناس والأشخاص الذين لا يملكون حيلة وراء هؤلاء المساكين، لكن هل اختفت الحقيقة؟ وهل انمحت حقيقة الحقائق وأصل الوجود؟ وهل انعدم السرّ الرحماني والحقيقة المحمّديّة؟! وهل اختفت هذه الحقائق عن أمير المؤمنين؟! عندما يرى الإنسان أنّه يقام في صحن أمير المؤمنين خمس جماعات لصلاة المغرب، خمس جماعات في هذا الصحن الصغير! هل هذا صحيح؟ الله يقول يجب أن نكون جميعاً يداً واحدة ونبذ التفرّق فيما

بيننا.. بضعة جماعات في هذا المكان الضيق، هل هذا صحيح؟ هذا فضلاً عن الجماعات التي تقام في المساجد المحيطة بالحرم كمسجد "عمران" و"بالا سر" ومسجد "الخضراء"، ناهيك عن الجماعات التي تقام في الأروقة داخل الحرم، ففي كل زاوية صلاة أخرى، فإذا ذهب هذا الإمام أتى آخر بعد عشر دقائق. وتبقى تقام عدة جماعات لصلاة الصبح الواحدة تلو الأخرى حتى تشرق الشمس على الطلوع؛ يقول تعالى: ^١ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا%^(١).

يجب أن تُصَلَّى الصلاة في أول الوقت فقط! والواجب صلاة واحدة لا أكثر، لذا يجب أن تقام صلاة واحدة في الصحن لا أكثر من ذلك. وإذا أراد إنسان أن يقيم جماعة أخرى يجب أن يُمنع منها، ولا يصلي. أو مثلاً بعضهم كان يصلي الصلاة نفسها مرتين، أو يصلي صلاة الظهر في هذا المسجد ثم يعيد صلاة الظهر هذه في مسجد آخر.

^٢ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ%^(٢)، فهل كان رسول الله كذلك؟! وهل كان الأئمة كذلك؟! أو أن هذه الصلاة تقام بعنوان حفظ الشريعة، فهل هذا حفظ للشريعة؟! هذا حفظ للبطن، حفظ للمقام. وأي مقام؟ ذاك المقام الأرذل والأكثر انحطاطاً من أي مقام آخر.. وسوف ينجر الإنسان بالنهاية إلى هذه الوجاهات التي ترونها... "الإسلام يعلو ولا يُعلَى

^١ - سورة النساء، من الآية ١٠٣.

^٢ - سورة الأحزاب، من الآية: ٢١.

عليه^(١). ^٨ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ%^(٢).

نقول: المنافقين.. تظنون أن المراد من المنافقين أولئك المنافقون الذين كانوا في زمان رسول الله! كلاً، فالمنافقون ليسوا منحصرين بأولئك، بل كل من لم يفهم أن العزة مختصة بالله ورسول الله وبالمؤمنين فهذا منافق. كل من يدعو إلى نفسه كما تعبر عنه الآية القرآنية المباركة: ^٨ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ%^(٣). فهذا منافق، المنافق يعني من يكون له وجهين، ظاهره يبرز شيئاً وباطنه يبرز شيئاً آخر. وإذا واجهته يقول لك شيئاً وفي غيابك يقول كلاماً غيره. وإذا لم يقل في غيابك خلاف ما قاله لك، فإن في قلبه ما هو أعجب من ذلك النفاق، حيث يخفي في قلبه خلاف ما يظهره لك وغير الذي يقابلك به؛ يقابلك بالبشاشة والتبسم والمجاملة، لكنه يخطط في باطنه للقضاء عليك وقلعك من الجذور. يقول في الظاهر: أيها الناس اتبعوا الإسلام! اتبعوا القرآن! وأمثال ذلك، ولكنه يعمل على خلاف الإسلام، ويسير في حياته على أساس أن يمحق الأحكام الشرعية، فهذا منافق.

^١ - وسائل الشيعة، ج: ٢٦، ص: ١٤.

^٢ - سورة المنافقون، من الآية: ٨.

^٣ - سورة آل عمران، من الآية: ٧٩.

ليس لله مع أحد من الناس صداقة خاصة، فهو يهدي الناس ويحركهم إلى الصراط المستقيم، وميزانه ميزان مستقيم؛ ^٨ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ%^(١). هل يمكن لله أن يقول: لقد خلقنا السماء والأرض على أساس العدل وميزان الحق، وبعدئذ يعطينا عنان أمورنا في هذه الأمور بأيدينا ويقول: كلَّ تخيّل وكلَّ اشتباه وكلَّ عمل سيئ تعملونه فأنتم أحرار في ذلك، لأنكم أنتم علماء الشريعة، وقد جعلت الاختيار بيدكم وأعطيتكم الولاية أيضاً، ويمكنكم الإتيان بأيّ فعل تريدونه! هل هذا صحيح؟! كلا! فيجب على طلاب العلوم الدينيّة جميعاً أن يخطوا خطواتهم الأولى بالعلم والعمل، كما فعل أولئك وكما فعل السابقون. انظروا إلى أيّ المقامات وصل السيّد ابن طاووس وأخوته علي وأحمد! انظروا إلى السيد بحر العلوم الذي لم يمض على موته أكثر من مائتي عام! انظروا أيّ مقامات كانت لديه! انظروا إلى أمثال الشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي كان من طلاب بحر العلوم وكان ملازماً له في دوراته، أيّ رجال طاهرين كانوا وكم كان لديهم من الصفاء! وكم شكل من أشكال الدنيا عرض عليهم لكنّهم لم ينهزموا أمامه. بل كانوا يحيون الليل في محراب العبادة ويكون ويستغيثون بالله. وكان سواء عندهم؛ قلّدهم جميع الناس أم لم يقلّدهم أحد، بل لم يكونوا يشتركون هذه الأمور بفلس واحد. لذا يجب على الإنسان أن يمشي على هذا الصراط، وإلاّ فهناك خطر جدّيّ ينتظره، وما قاله الله تعالى للسابقين فهو متوجّه إلينا أيضاً.

٨- سورة الرحمن، الآيتين: ٧ و ٨.

فالأيات القرآنيّة لديها شمول وعموم، وليست منحصرة برسول الله وبزمان رسول الله، بل هي شاملة لجميع الأزمنة دون استثناء.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد